ثالثا/ الفكر الاجتماعي في الصين القديمة:

أسهم الصينيون بقسط عظيم في الفكر الاجتماعي، ومن أهم الكونفوشيوسيون والماوتسويون والطاويون وأصحاب مدارس دينية ذات إسهامات كبيرة في الفكر الاجتماعي.

وقد عني الفكر الاجتماعي الصيني بالتربية عناية فائقة، وعرف المدارس العامة والخاصة، وطالب النبلاء بالالتحاق بالمدارس العليا، وكانت الامتحانات صارمة ونزيهة، والتوظيف يتم على أساس الكفاءة المثبتة بالامتحان النزيه، وكانت المدرسة الصينية معنية بالفنون العقلية الستة ذات القيمة في ذلك الزمان، وهي الشعائر الدينية، والموسيقى، والرماية، وقيادة العربات العسكرية والرياضيات، والكتابة، كما كان للمعبد دور هام في التنشئة الاجتماعية.

الكونفوشيوسية:

كونفوشيوس (551-44 ق.م) أعظم المفكرين الصينيين، ولقد يعتبر نبي الصين عند بعضهم، وقد أكسبته أسفاره الكثيرة وفكره النافذ خبرة عظيمة وحكمة، وحسبه فإن الأخلاق هي الأساس الأول الذي يجب أن تقوم عليه العلاقات الاجتماعية، فالتنشئة والتربية عليهما يجعل الناس في غير ما حاجة للقضاة والمصلحين.

كان كونفوشيوس مصلحا دينيا وسادت ديانته التوحيدية الصين قرابة الخمسة والعشرين قرنا ومازالت.

والحاكم في الكونفوشيوسية مفوض من الله على الأرض، وطاعته واجبة طالما احترم هو ذلك التفويض الالهي، وإلا فمن واجب الأفراد أن يثورو ضده، وقد صاغ كونفوشيوس في كتبه الخمسة قواعد الأخلاق، وهي ذات قيمة كبيرة جدا بالنسبة لعلم الاجتماع الوصفي الصيني.

وكان كونفوشيوس قد أمن بوجود جاذبية طبيعية بين الناس على نحو ما نرى من علاقات أفراد الأسرة الواحدة، وذلك ما يمكن أن يشمل الجنس البشري كله، وحسبه فإن الإسم يتكون من فهم المركز الصحيح لأي جماعة من الناس في الكيان الاجتماعي، ومن معرفة ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات فإذا أحسن المرء أداء دوره، قوى ذلك من مركزه الثابت.

الطاوية:

يقوم هذا المذهب على وجوب طلب الطاو، أي الوسط بينا المكونين الاثنين للعالم وهما "ألين" أي الأنثى، و"اليانج" أي الذكر.

وترى الطاوية بأن الطبيعة البشرية ليست حسنة، ولا هي بالسيئة أصلا، وبالتالي فإن الاستقامة ليست إلا عادة تكتسب بتكرار السلوك الحسن، وفيها دعوة للتأمل وفحص النفس، وجوه فكرها الاجتماعي، أن الكون في حالة تغير وتعديل مستمرين داخل مجال القوة التي كونها "ألين" و"اليانج" ولكن دونما صراع بينهما، لأنهما متوازيان ومتعادلان كقطبي مغناطيس واحد، وهما في حال توازن يمكن إقلاقه لمدة زمنية محدودة، والفضيلة في الطاو، أي في سلوك الطريق الوسط.

الماوتسوية:

وهي العقيدة الصينية الثالثة عاصرت الكونفوشيوسية، وقبلت بمبدأ الجاذبية فيها، ولكنها أنكرت التدرج في الجاذبية على أساس القرابة ظن فالحب يجب أن يعم الجنس البشري كله، وقد آمنت بوجود الله، فالدنيا محكومة عندها بإرادة مدركة واعية لكائن أعلى، واعتبرت حب الإنسانية كلها واجبا دينيا، ودعت إلى التقشف، وأن طلب الإنسان يطلب اللذة عن طريق خدمة البشرية.

رابعا/ الفكر الاجتماعي في الهند القديمة:

لقد تأثر الفكر الاجتماعي في الهند القديمة بواقعها الطبقي الاجتماعي، وتعدد أديانها، فقد عرفت الهند الطبقية بصورة واضحة، فالطبقات فيها متمايزة جدا ولا يجوز الارتقاء من واحدو لأخرى، كما لا يجوز التزاوج بين أبناء الطبقات الهندية، فكان لكل طبقة فكرها الاجتماعي المتأثر بهذه الطبقة، أو تلك وهذه الطبقات كانت وما زالت على النحو التالي:

1-طبقة البراهميين: أو الكهنة وهي أرقى الطبقات ومنها المعلمون والمشرعون، فيكون فكرها نموذجا لحال الفكر الهندي لأنه الأرقى طبقيا وتعليميا.
2-طبقة الكشتاريا: وهي طبقة محاربة.
3-طبقة الغايز: وهي طبقة الصناع.
4-طبقة المنبوذين: وهم العبيد.
وفي الطبقات الثلاث الأخيرة تتنوع الأديان الهندية على نحو يصعب حصره، فبالإضافة إلة البراهمة هناك أصحاب الروحانيات وغيرهم، مما سنشرح بعض أمرهم لاحقا، ثم إن الفكر الاجتماعي الهندي متأثر منذ القديم بعبدة الكواكب، وبالفكر الفيثاغورثي اليوناني، ولهذا تأثيراته في الفكر الاجتماعي الهندي القديم.
البراهمية:
منسوبة إلى رجل من الهند يدعى "براهم"، يعتمد فكره الاجتماعي على نفي النبوات أصلا بسبب أن ذلك حسبه مستحيل عقلا، وذلك على أساس القسمة الثنائية، فما أتى النبي به إما معقول فيكتفي العقل التام بإدراكه والوصول إليه، وإما غير معقول فلا يكون مقبولا، والناس لا يتعبدون إلا بما تدل عليه عقولهم، وما دامت العقول تقر بأن للعالم صانعا عالما قادرا حكيما وأنه أنعم على البشر نعما تستوجب الشكر، فنعرفه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا، ونتحمل عقابه إذا استوجبناه، دونما حاجة إلى وساطة بشرية... وغير ذلك مما تجد تفصيله لدى الشهرستاني.
وتنقسم البراهمية إلى أصناف متفرقة منها: البددة، وأصحاب الفكر والهم، ومنهم القائلون بالتناسخ.
أ)البدديون: نسبة إلى "البد" وهو عند الهنود شخص في هذا العالم لا يولد، ولا ينكح، ولا يطعم، ولا يشرب، ولا يهرم، ولا يموت، وأول بد ظهر في العالم إسمه "شاكمين" وتعني السيد الشريف، وقد سبق الهجرة الإسلامية بخمسة ألاف سنة.
وبعد رتبة البد تأتي مرتبة "البوديسعية"، وهي تدعو إلى الامتناع إلى خصال مذمومة مثل: القتل، الزنا، الكذب، الشتم، الجحود لجزاء الآخرة،... كما أنها تطلب التحلي خصال محمودة: الكرم، التعفف، العلم، الأدب، حسن المعاملة،...
ب)أصحاب الفكرة والوهم: وهم أعلم بالنجوم وأحكامها المنسوبة إليهم، وينشئون الأحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها، على خلاف الروم الذين يحكمون من الطبائع، والهند يفعلوم الأمر ذاته في الطب، فيعتبرون خواص الأدوية دون طبائعها، والروم تخالفهم في ذلك.
وأصحاب الفكرة يعظمون الفكر لأنه بالنسبة لهم المتوسط بين المحسوس والمعقول، ويجتهدون في صرف الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضات البليغة، لأن تجرد الفكر عن المحسوسات يؤدي إلى تجلي ما وراءها.
ج)أصحاب التناسخ: التناسخ موجود لدى كل ملة من الملل، ولكن مفهوم التناسخ مختلف بحسب اختلاف الأمم، وأما تناسخية الهند فقائمة على الخرافة.